

بين الصحفي والمجرب

ترجمة المصطلحات العلمية

حول نقد سابق (١)

* * *

قرأت ما كتبتموه في « المصور » حول بعض الاصطلاحات التي استعملناها في « مجلة التربية والتعليم »

اننا نتفق واياكم كل الاتفاق في القول بوجوب « تكوين أكاديمي مختلط للترجمة والتعريب يرجع اليها في تقرير المصطلحات » كما اننا نسلم وجوب جعل مقر هذا الاكاديمي في مصر وذلك ليس « لتوسطها من حيث الموقع الجغرافي بين البلدان الشرقية » فحسب بل لكونها أرقى البلاد العربية وأغناها من حيث المال والرجال أيضاً.

فعند ماسمعنا قبل مدة لتشجيع حركة « مؤتمر الثقافة العربية » أوضحنا اعتقادنا بضرورة عقد المؤتمر في مصر واقترحنا أن توضع مسألة « توحيد المصطلحات العلمية » في مقدمة المسائل التي تناوئها مذكرات المؤتمر للتوصل إلى إيجاد أجمع الطرق لحل هذه المعضلة ، وسعيًا وراء تكوين « عضوية » ثابتة تقوم بهذه المهمة .

ولذا قد اغتبطنا جد الاغتياب بازدياد اقتناعكم « بوجوب تكوين هذه الاكاديمي » .

هذا ولا بد من أنكم تعلمون أن الاكاديميات لا تتمكن عادة من إيجاد المصطلحات ووضعها ، بل أنها تجمع المصطلحات المقترحة والمستعملة وتنقدها وتختار الاوفق منها فتقررها .

فكل المساعي التي تبذل في إيجاد المصطلحات ومناقشتها تنهيء الاكاديمي

(١) نشر النقد الذي يدور حوله هذا البحث في عدد فبراير الماضي من المصور .

المواد الانشائية التي تحتاج اليها وتسهل مهمتها وتخدم نجاحها .
وبهذا الاعتقاد رأيت أن أغتم الفرصة التي أوجدتموها لنا بفتحكم باب
المناقشة والمداولة في الاصطلاحات التي استعملناها لاوضح رأيي فيها :-
ان كل من يتوغل في العلوم الحديثة ويحاول أن يعبر عن مسائلها تعبيراً
صحيحاً في كتاباته ولا سيما في دروسه ومحاضراته ، يجابه مشاكل كبيرة من جراء
نقص المصطلحات فيختار أحياناً في أمره إذ يتحتم عليه أن يضع المعنى فوق كل
اعتبار ، فيسعى للتعبير عنه تعبيراً واضحاً بالصورة التي تخطر على باله كلها . وهو
يستعمل مؤقتاً الاصطلاحات التي يجدها أقرب إلى المقصود — وان لم يرتح اليها
أماً — على أن يبقها عرضة للبحث والتجربة الى أن يتسنى له إيجاد أفضل
منها مما يكون أكثر ملائمة للمعنى وموافقة للمقصود ، حتى اذا ما وجد اصطلاحاً
جديداً أوفق مما سبق له استعماله ترك الاول مستعيضاً عنه بالثاني .

هذا ما اعتدنا أن نفعله نحن في دروسنا ومحاضراتنا وهذا ما اخذنا نعمل
بتقتضاه في مقالاتنا . فكثيراً ما غيرنا التعبيرات التي استعملناها في دروسنا كما
تنا سنبقى مستعدين لتغيير الاصطلاحات التي نستعملها في مقالاتنا .
فنحن وان كنا مرتاحين الى بعضها فاننا لانزال مترددين في بعضها الآخر
وعلى كل حال لسنا متمسكين بها كلها .

واعتقد أنه يترتب على كل من يتوغل في العلم أن يسلك خطة مماثلة للخطة
المتبعث عنها ، ولا ينسى أننا لانزال في « طور البحث والتجربة » في أمر
الاصطلاحات . فعليه أن يعتبر الاصطلاحات التي تخطر بباله كأوضاع مؤقتة
يجب أن تبقى معرضة للبحث والنقد قبل تقريرها أو رفضها نهائياً ، ولا يحسبها
من الـ « حقائق الراهنة » التي يجوز التمسك بها تمسكاً قاطعاً والتي يسوغ سد
باب الاجتهاد في وجهها سداً محكماً .

أقول هذا ، لانني أراكم تميلون الى استعمال « أساليب بئاسة » في أمر
الاصطلاحات فتكتبون « يقول كذا وحقيقتها كذا » ولا شك في أنكم

لا تجهلون أن الاصطلاحات ليست من الحقائق، فمناقشتها اذن لا يجوز أن تجري مجرى « مناقشة الحقائق الراهنة » .

*
* *

بعد هذه المقدمة التي رأيت من الضروري أن أقدمها لايضاح رأيي في الاصطلاحات بوجه عام أعود إلى أساس البحث وأشرح ما أراه في كل كلمة على حدة . ولا بد لي من الشروع بكلمة « الفلسفة » إذ أنكم وجهتم أحد شبهاتكم اليها . فقلتم إن مثل هذه الكلمات « مما لا يمكن أن تقبلها أساليب التعريب العربية » وأن في ذلك « فتح لباب تلوح منه اللغة العربية ألوية يلبو بها الكتاب مجوناً »

فعلى أن أصرح قبل كل شيء بأننا لم نستعمل هذه الكلمة إلا بناء على اقتراح الشيخ عبد القادر المغربي ولا شك في أنكم لا تجهلون مقامه في الأدب العربي ودرجة توغله في تدقيق أساليب الاشتقاق والتعريب . انني لأقول ذلك بقصد « رد الحجة بالسلطة » ولا بقصد « الاحناء وراء الشهرة » بل أقول ذلك لابين لكم ان الكلمة مما يحتاج الى التدقيق والمناقشة بروح يميل الى « التساهل والقبول » أكثر مما يلتزم « التشدد والاعراض » وانها لا تستحق النعت بتلك النعوت العنيفة التي أسرقتم فيها من غير تدقيق أو حساب .

تقولون « لماذا لا نجري على القوائد التي انتهجها العرب في التعريب » فقالوا « قاطيغورياس وأنا ليطيقا وفيزيقا » نحن لم نحاول قط أن نخالف « القواعد التي انتهجها العرب في التعريب » بل على عكس ذلك . ما اخترنا كلمة « الفلسفة » الا جرياً على تلك القواعد . نعم ان أسلافنا استعملوا كلمة « قاطيغورياس » ولكنهم هل استعملوها في استعمالها ؟ كلا . فانهم لم يلبثوا أن ترجوها بكلمة « المقولات » وصاروا يقولون « المقولات العشر » و « المقول في جواب ماهو » و « المقول في جواب أين » حتى أنهم قالوا « المتولية » فخللت كلمة قاطيغورياس مهملة ومطبوقة في زوايا بعض

كتب المنطق والفلسفة القديمة ، عنواناً لفصل أول كتاب — لأنها كانت اسمها
 لاحد كتب « المعلم الاول » . فكل من يتصفح كتب المنطق والفلسفة القديمة
 يتأكد أن هذه الكلمة لم تتأصل في اللغة العربية بل انها غلبت على أمرها
 أما كلمة « المقولات » فإنه يجدها مذكورة في بعض الكتب ذكرها مقروناً
 بترجمتها ولا يجد لها ذكرًا في كتب أخرى . في حين أنه يجد كلمة المقولات
 مستعملة في كل منها عشرات المرات .

فهل يجوز لنا أن نستخرج « قواعد التعريب » من مثل هذه الكلمات
 التي لم تتمكن من التأصل في اللغة ومن التجنس بها ؟

أما كلمة « أناليطيقا » فإنها لم تنل حظاً من الحياة حتى بقدر مانالته كلمة
 « قاطيفورياس » : فقد ذكرت في الكتب لأنها كانت عنواناً لكتابين من
 كتب المنطق لارسطوطاليس ولكنها ترجمت الى العربية بكلمة (تحليل القياس)
 و (فصل البرهان) فهل يجوز لنا والحالة هذه أن نعتبرها مثالا للكلمات العربية
 ونحاول أن نستخرج منها قواعد التعريب . ؟

وإذا تصفحنا الكتب القديمة رأينا فيها ذكرًا لكثير من الكلمات
 اليونانية كعناوين لكتب مختلفة . من ذلك كلمة « ديالكتيقي » أي جدل
 و « ريطوريقى » أي خطابي و « بوطيقا » أي شعر . فهل يمكننا أن ندعى بأن
 نسبة كلمة أناليطيقا الى اللغة العربية أكثر من نسبة هذه الكلمات اليها ؟

حتى أن كتاب أخبار الحكماء يذكر كتابا لارسطوطاليس « بروبايماطا
 قاطندي أباطريقا » وهل سنقول بناء على ذلك أن هذه الكلمات دخلت في
 اللغة العربية ؟

من المعلوم أن أسلافنا استعملوا مدة من الزمن كلمة « ارثماطيقى » حتى
 أننا نظن أنهم استعملوا كلمة « جومطريا » أيضاً لأن إقليدس كان معروفاً بينهم
 بـ « صاحب الجومطريا » . فهل يجوز لنا أن ندعى أن هاتين الكلمتين أصبحتا
 من مفردات اللغة العربية ؟ وهل يسوغ لنا أن ننسى أنهما ماتتا ، وأن الأولى

تركنا محلها لكلمة عربية بمحنة (الحساب) وأن الثانية تركت محلها لكلمة
معرفة شبيهة بالكلمات العربية (الهندسة) .

اننا نعتقد أن الذكر المجرد ، أو الاستعمال الموقت لا يكفيان لاعتبار الكلمات
من المعربات ونقول باننا اذا أردنا أن نكتشف القواعد التي جرى عليها
العرب في التعريب ، وجب علينا أن نعتبر الكلمات التي عاشت وتأصلت
لا الكلمات التي ظلت جامدة ثم ماتت .

لذلك نرى أن كلمة « الفلسفة » الحية والولود تدلنا على مجاري قواعد
التعريب أكثر من كلمة « أناليطيقا » العقيمة والميتة .

فإن الأولى تغلبت على كلمة « الحكمة » التي كانت تعتبر مرادفة لها فعاثت
منذ قرون وولدت نسلا من الكلمات « مثل فلسفي فلسفيا فليسوف تفلسف
متفلسف » عدا بعض الجموع مثل « الفلسفات الفلاسفة المتفلسفين » أما الثانية فاتها
لم تتمكن من التغلب على كلمة « التحليل » فماتت بعد ولادتها بزمن قصير من غير أن
تولد كلمة جديدة أو تترك أتراحيا .

فكيف يسوغ لنا أن نعتبر الأولى شاذة ونروح نطلب القاعدة من الثانية؟
هذا وكلمة « الفلسفة » ليست فريدة في بابها فاننا نذكر عدة كلمات معربة مثلها
على وزن « سفسطة هرطقة هندسة صيدلة سفتجة باشفة » ..

من المعلوم أن المتقدمين قالوا في بادئ الامر « سوفسطيقا » فاننا نجد هذه
الكلمة مذكورة في كتب عديدة بهذا الشكل ولكن بعد ذلك صوروها وجعلوها
(سفسطة).

ويمكننا القول إن الكلمة لم تتغلب على كلتي « المغالطة » و « التمويه » إلا بعد
هذا التطور ، بل بفضل هذا التطور . فانها دخلت بهذه الصورة في قالب سهل التلفظ
وقابل للتصريف والتوليد فصرنا نقول سفسطات سفسطي سفسطائي سوفسطائية .
كما أنه أصبح في وسعنا أن نقول : تسفط متسفط

ويجب أن لا يفوتنا أن اسم الشيوعية الروسية أيضا تعرب على الطريقة
نفسها . فلم يقل « بولشفيقا » ولا « بولشفرما » ولا « بولشفيا » بل قيل « بلشفية »

وصرنا نقول « بلشفي ، بلاشفة ، تلشف ، متبلشف » ورأينا ان الكلمة على هذا الشكل شاعت شيوعا كبيرا بين الناس

فاذا ما عر بنا اليوم كلمة « فيسيولوجيا » بقولنا « فلسجة » على وزن سفسطة وفلسفة وبلشفة — أنكون قد خالفنا أساليب التعريب ؟ أم نكون على عكس ذلك قد جرينا على تلك الأساليب ؟

تدعون باننا نريد « أن نجري بطبيعة الحال على هذه القاعدة » في أسماء جميع العلوم وسنقول مثلاً في التشریح « أنتمة » وفي النبات « بتننه » ...

فاسمحوا لي أن أقول بانني لم أرمسوغا لهذا الادعاء والاستدلال. هل يحق لي أن ادعى أن حضرتكم ستقولون في التشریح « آنا توميا » وفي النبات « بوطانيا » أو « بوطانيقا » لانكم قلتم « فيسيولوجيا » ؟

انني عربت كلمة « مرفولوجي » على شكل « مر فجة » وتمنيت تعريب كلمة « سيكاوجي » على شكل « سكا جة » ووجدت سهولة عظي في القول « فساجيا . مرفجيا سكا جيا » و« الفروق الفساجية المرفجية السكا جية » واكنني لم افكر لحظة واحدة في البحث عن أسماء تقوم مقام « التشریح والنبات والحيوان » لان هذه الكلمات دارجة وسهلة وقصيرة وهي وافية بالمرام

* * *

انتقل الآن الى بقية الاصطلاحات وابدى رأيي في كل منها على حدة.
١ — Objectif, Subjectif لقد اعترضتم على الاصطلاحات التي اتخذناها لهاتين الكلمتين . وأصررتم على وجوب ترجمة Objectif بكلمة « موضوعي » وترجمة Subjectif بكلمة ذاتي .

انني لعاجز عن فهم الاسباب التي دعت بعض الكتاب الى استعمال كلمة « موضوعي » في هذا المقام . لان كلمة « موضوع » من الكلمات الشائعة شيوعا كبيرا وهي تستعمل دوما لمعان لا تلتئم والمعنى المقصود من كلمة Object بوجه من الوجوه . فهي تستعمل في المنطق — منذ القديم — للدلالة على أحد جزئي القضايا وهو المحكوم عليه . أما الكلمة التي تقابلها في اللغات الاوربية فهي Subject وليست Object

كما انها تستعمل في لغة العلم والادب بمعنى مدار البحث والدرس، فكلنا نقول ونكتب «موضوع الرواية»، «موضوع البحث»، «موضوع الانشاء»، «موضوع القراءة...» ونقصد بكلمة «موضوع» في مثل هذه العبارات ما يعبر عنه الفرنسيين بكلمة

Object لا Subject

فكيف يجوز لنا والحالة هذه أن نأخذ هذه الكلمة ونحاول استعمالها في معنى مضاد لهذا المعنى الدارج بمجرد اضافة ياء النسبة الى آخرها ؟ لما شرعت في قراءة الكلمة التي كتبتوها في انتقاد محاضرة الدكتور طه حسين (المصور الصحيفة ٦٥١) عثرت في خلال السطور السبعة الاولى منها على ثلاث عبارات تحتوى على كلمة الموضوع :

« المحاضرات التي ألقاها طه حسين في الموضوع الذي يحدده عنوان المقال — منقولة عن أحد المستشرقين الذين لم يدرسوا الموضوع درساً وافياً — ذكرني الكتاب ببحثين في الموضوع » فإذا ما حاولتم ترجمة هذه العبارات الى الفرنسية ألا تضطرون الى ترجمة كلمة «الموضوع» : Subject في جميعها ؟

قلت في احدى العبارات المذكورة «الذين لم يدرسوا الموضوع درساً وافياً» : فلنفرض انكم وددتم أن تفهموا القاريء ان الموضوع كان يجب أن يدرس Objectivement فهل كنتم تقولون «الذين لم يدرسوا الموضوع درساً موضوعياً ؟» وإذا قلتم ذلك أفلا تظنون أن استعمال الكلمة الواحدة على هذا الوجه — في عبارة واحدة بمعنيين يختلف أحدهما عن الآخر اختلافاً كلياً — يشوش الازهان كثيراً ؟ ثم افرضوا أن احد معلمى الانشاء قال «فلان وسع الموضوع مرضوعياً» فهل ترتاحون لمثل هذه الاقوال ؟

اننى اعتقد أن محاولة التعبير عن مدلول كلمة Objectif بكلمة «الموضوعى» مما يغمر المدلول بغموض مستمر يحول دون دخول هذا المفهوم الى الادمغة بوضوح كلوى ويعوق انتشاره بين المستنيرين انتشاراً مرضياً.

ومما هو جدير بالانتفات أن كلمة Object تدل من حيث الاشتقاق على معنى «موضوع امام» فى حين أن كلمة Subject تدل على معنى «موضوع تحت»

يفهم من ذلك أن الفرق بين الكلمتين ليس في مفهوم «الموضوعية» إذ أن كلاتهما تشتركان في هذا المفهوم . فعليه لا يجوز لنا أن نحاول التمييز بين هاتين الكلمتين — في المعاني التي نحن بصدددها — بتسمية أحدهما «الموضوعي». إنما نحن في حاجة ماسة الى كلمة غير هذه الكلمة .

بماذا نعبر عادة عن المدلول الأصلي لكلمة Object ؟ انني لم أجد بين الكلمات العربية ما يردأ أكثر ملاءمة لهذا المدلول من كلمة شبح لان Object في الأصل هو ما يعرض على الانظار ويؤثر على الحواس »

هذا هو الشبح . فقد قال الزمخشري « أسماء الاشباح هي التي ادركتها الرؤية والحس » .

وعندما يقول العلماء «درس الحالة النفسية بأسلوب Objectif » ألا يريدون بذلك «درس تلك الحالة كأنها شبح من الاشباح المحيطة بنا؟ فنحن قد اخترنا كلمة «شبحاني» بسائق الحاجة اني ايراد هذه العبارات التي لا بد للباحث من أن يستعمل نظيراتها عند ما يحاول شرح المعنى المقصود من كلمة Objectif في هذه المواطن انني لا أقول بتعذر ايجاد كلمة أكثر موافقة منها للتعبير عن هذا المعنى — ولكنني اعارض في استعمال كلمة «الموضوعي» في هذا المقام كل المعارضة وأدعو الكتاب الذين اعتادوا استعمالها بهذا المعنى الى اعادة النظر في الامر والتأمل فيه .

أما استعمال كلمة «ذاتي» «ا» Subjectif «فانني لا أعارضه معارضة شديدة الا انني لاحظت على الكلمة شيوع استعمالها في الفلسفة والمنطق ازاء كلمة «العرضي» لقد استعملت كلمة «شخصاني» باعتبار أن ال Subjectif هو ما يعود الى الشخص المفكر المنفعل « وان مدلوله ذات علاقة بشخصنا وبشخصيتنا وكنت فكرت في استعمال كلمة «باطني» غير انني عدت عنها لكثرة شيوعها ازاء «الظاهري» هذا ويستعمل بعض المفكرين والكتاب كلمتي «أنفسي» و«آفقي» او سوبجكتيف و اوبجكتيف « جريا على ما درج عليه المتصوفة في تعبيرهم الذي استخرجوه من الآية القرآنية «وسنريهم ما في أنفسهم والآفقي»

وفي اعتقادي أن هذه المصطلحات تحتاج الى تمحيص بتام العناية

٢ — Causaité الفيتكم تعترضون على « العملية » وتترجون استبدالها « السببية » بينما نحن لم نختار كلمة العملية إلا لأننا وجدناها أكثر شيوعاً من غيرها فكتب الفلاسفة القديمة تبحث دائماً عن « العلة والمعلول والعلة والتعليل » كما أننا رأينا الكتب المصرية الحديثة أيضاً قد اقتفت أثر تلك الكتب. فهذا الكلمة نفسها مستعملة بالمعنى عينه في أصول الفلاسفة (لأمين واحف) وفي (علم المنطق الحديث) لمحمد حسنين عبد الرزاق. فلم نر مبرراً لمخالفة هذا الاستعمال .
أما كلمة « فيناليقي » فيمكن ترجمتها « غائية »

٣ — Determinisme لقد اعترضتم على « المعينية » ورأيتم استعمال « التقصدية » مكانها. فاسمحوا لي أن أقول أن المعنى المراد بـ « الدترمينيزم » هو عكس « التقصدي » تماماً. لأن التقصد مظهر من مظاهرها الاختيار في حين أن « الدترمينيزم » هو إنكار لتأثير الاختيار في الحوادث

وأظنكم توهتم في هذا الصدد من كلمة Determination التي تدل حقاً على « التقصد » ولكن « دترميناسيون » شيء و« دترمينيزم » شيء آخر اذ يعني بالدترمينيزم أن الحوادث تتعين وتتحدد بالظروف التي تحيط بها والدوائر التي تسببها. فما علاقة هذا المعنى بالتقصد والتقصدي ؟

٤ — Evolutional وجدتم تعترضون على ترجمتها « التطوري » وتردونه أن يقال بدلاً منها « نشوئي »

لقد ترجمت Evolution الى العربية — في الكتب المصرية — تارة بكلمة « التطور » وطوراً بكلمة « النشوء والارتقاء »

وانما نرجح استعمال كلمة « التطور » في هذا المقام. أما كلمة « النشوء » فنجدناها أكثر الطباقة على معنى Development لأن كلمة Evolution تعني « الانتقال من طور الى طور انتقالاً تدريجياً ومستمرّاً » سواء أكان الطور الجديد أرقى من المتقدم أم أحط منه. فلكلمة التطور تدل على هذا المعنى دلالة أدق مما تدل عليه كلمة « النشوء »

٥ — Génétique انى أوافقكم على ترجمتها بكلمة « التكوين »

٦ — Behaviour تترجون استعمال كلمة « السلوك » ولكن التقصد من هذه

الكلمة هو غير الconduct ان مدلول كلمة «السلوك» مصبوغ بصبغة أخلاقية. فنرى من اللازم أن نحفظ لهاتلك الصبغة . أما المعنى المقصود من كلمة Be avior فى علم النفس فهو مجرد من مثل هذه الاعتبارات. بل انه مجرد حتى من جميع الاعتبارات الشمورية فقد درس «بافلوف» مثلاً بعض الحالات النفسية عند الكلاب بملاحظة ما يطرأ على افرازاتها اللعابية من تزايد وتناقص . فهل يمكننا أن نقول « سلوك الكلاب» عند ما نبجث عن هذه الافرازات؟

اعترف أن كلمة «انتهاج» أيضاً لا تدل على المعنى المقصود دلالة وافية إلا أنها لم تكن من الكلمات الدارجة فلا يصعب علينا تخصيصها لهذا المعنى الجديد. ومما يستلفت الانظار فى هذا الباب أن علماء فرنسا عند ما اقتبسوا هذه الفكرة من الأمريكان لم يعبروا عنها بكلمة Conduite بل أوجدوا لها كلمة جديدة نوعاً ما وصاروا يقولون Comportment

٧ - Normal لقد اعترضتم على «سوى وغير سوى» وقلتم باستعمال «قيامى وغير قيامى» لهذا المعنى. غير اننى اظن أن هاتين الكلمتين ثلاثان Regular و Irregular أكثر من «نورمال» و «انورمال» إذ انهما مستعملتان فى الصرف بهذا المعنى .

وأرى كلمة «سوى» أكثر دلالة على الNormal لغة واصطلاحاً. إذ الكلمة مأخوذة من Norma اللاتينية التى تدل على آلة الزاوية المستعملة لرسم الخطوط العمودية (حيث تكون الزوايا التى تحدث فى طرفيها متساوية) . ولذلك تستعمل الكلمة فى الهندسة بمعنى «العمودى» أما فى علم النفس فاتها تستعمل للدلالة على الحالة المرضية والآنية. وقد جاء فى المعاجم العربية «غلام سوى أى. مستوى الخلق لاداء به ولا عيب — ورزقك الله ولداً سوياً لاداء به ولا عيب»

ألا ترون أن كلمة «سوى» هنا تطابق المعنى الذى نفهمه من كلمة «نورمال» فى مثل هذه الموضوعات كل المطابقة؟

هذا ويمكننا أن نقول «فوق اليسوى» Surnormal «وبحت السوى» Subnormal. و«لأسوى» أو «غير سوى» Anormal.

إن هذا الاصطلاح من الاصلاحات التي اعتقد بإمكان نشرها بارتياح كل
بغداد — ٣١ مارس ١٩٢٨
ساطع الحصري

العصور — نشكر للاستاذ عنايته ونكبر فيه اهتمامه بموضوع التعريب والترجمة لأننا نعتقد بحق أن هذا العصر هو عصر النقل . ولا شبهة مطلقاً في أن النقل هو الأساس الذي لا نستطيع بغيره أن نكون ثقافة عليا بالمعنى الصحيح . على أنني بعد هذا أصرح الاستاذ بأنني لأوافق على كثير مما أتى به في رده الذي أثبتناه هنا بنصه غير منقوص حرفاً واحداً . ولهذا نضطر إلى الاطنباب في الرد اطنابه في النقد تحقيقاً لا تتعرض فيه إلا لرد الحاجة بالحجة لارد «الحجة بالسلطة» التي نبغضها ونعتقد أنها من أفسد المفاسد التي لجأ إليها العقل ليتمرر حقائق العلم وانالغته .

أولاً — استعمال أساليب باتة في ترجمة المصطلحات .

لأنك أنك أنك استعملت شيئاً من الأسلوب البات في نقد ماذهب إليه الاستاذ في مقاله الذي يدور من حوله هذا البحث . والسبب الذي أجتأى إلى هذا هو اعتقادي بأن الاصطلاح الذي جرى على الألسنة والاقلام وقبله أكثر الكتاب او المترجمين أصبح له مبرراً كبيراً لأن يحوز بعض السلطة المستمدة من شبه اجماع يتفق عليه الكتاب من طريق لاشعوري . ولا جرم أن هذا يبرز لنا الدفاع عنه لاسيما اذا كنا من الذين جروا عليه وقبلوه ليكون اصطلاحاً دائماً أو فلسفياً أو ما إلى ذلك . أما إذا اعتبرنا أن كل اصطلاح قابل للتغيير حتى ولو قبله أكثرية الكتاب والمترجمين وقعنا في فوضى لا نهاية لها . هذا ولا ريب في أن قبول أكثرية الكتاب للجرى على اصطلاح واستعماله في كتب التدريس وحتى كتب الابحاث العامة هو المسبب الوحيد الذي يمكن أن يقاس به مقدار ما في ذلك الاصطلاح من حيوية واتفاق لا مع قواعد التعريب وحدها ، ولكن مع الذوق والحاجة التي تتطلبها اللغة نفسها . وهذا هو السبب الوحيد الذي حدى بي إلى الجري على أسلوب بات في ردي الذي تناولت به مقال مجلة التربية والتعليم .

ثانياً — كلمة فلسفة

لم نخالفكم مطلقاً في أن تزنوا « فسيولوجيا » على كلمة فلسفة « الولود » كما تقولون . أما الذي اعترضنا عليه في الحقيقة هو صعوبة الجرى على مفرد نتعنته من هذه الكلمة . ولا يخفى عليكم أن العرب عندما استعملوا كلمة سفسطة قالوا في مفرد لها سفسطائي ولم يقولوا سفسطى وقالوا في هرطقة هرطوق وفي هندسة مهندس وفي صيدلة صيدلانى ، ولم ينسبوا مطلقاً الى سفتجة ولا عرفوا بالطبيعة كلمة بلشفة . فعلى أى من هذه الاوزان نجري في مفرد فلسجة ؟ هل نقول فلسجائى كما قالوا في سفسطة أم فلسوج كما قالوا في هرطقة أو مفسلج كما قالوا في هندسة أم فلسجائى كما قالوا في صيدلة ؟ هذا هو وجه اعتراضنا فى الجرى على هذا الاصطلاح التعريبي . فليس يكفى في نظرنا أن نعثر على اصطلاح معرب لاسم العلم وحده ثم لانهثر على مشتقات منه تؤدي بقية الحاجات ، أى على مفردة وجمعه ، بحيث تكون مقبولة من جهة الذوق اللغوى ، ومراعاته عندى من أكبر الاسباب التى تؤدي الى بقاء الاصطلاحات وحياتها .

ولقد نسي الاستاذ الفاضل لدى كلامه في كلمة « فلسجة » أننا انما نتكلم فى « التعريب » لاني « الترجمة » ولو أنه استعمل اصطلاح « علم وظائف الاعضاء » مثلاً بدلاً من فلسجة لما اعترضنا عليه فى شيء .

قال بأن أسلافنا استعملوا كلمة « قاطيغورياس » ولكنهما ماتت واستعملوا من بعدها ترجمة أخرى جروا فيها على كلمة « مقولات » . والفرق واضح بين التعريب والترجمة . ولكن المهم هنا هو أنهم قبل أن يعثروا على ترجمة صحيحة توافق حاجات اللغة معنى ومبنى لجؤوا الى التعريب . وهذا كل ما قصدنا في كلمتنا التى قدنا بها الامتياز . فاذا استطاع الاستاذ مثلاً أن يأتى بترجمة مقبولة معنى ومبنى لكلمة « فلسجة » فنحن أول من يقبلها ، فليشمر عن ساعده ونحن أول المؤيدين .

ولست أرى رأيكم فى الجرى على التعريب حيناً والترجمة حيناً آخر . لانا إذا استطعنا هذا فى بضعة أسماء سميت بها العلوم فماذا نفعل بقية أسماء الاعلام مع كثرتها التى لا آخر لها ؟ لهذا أرى أن التعريب أصح من الترجمة الصرفة .

وهذا ما جرت عليه أكثر اللغات . فإليك بضعة الفاظ عبرية نقلت الى العربية والانجليزية كما هي . فكلمة « بهيموث » وكلمة « ريم » وقد وردتا في التوراة نقلتا الى الانجليزية فكانتا Behemoth و Reem ، والى العربية فكانتا بهيمة وريم ، كما هي في الاصل . وكذلك كلمة « لويathan » نقلت الى الانجليزية فكانت Leviathan وهكذا . وهذا أسلم طريق لأنه لا يؤدي الى فوضى تنتج عن الخلط بين التعريب والترجمة . اللهم الا في الاسماء التي ذاعت شهرتها الى حد بعيد وكثر استعمالها حتى شاع بين المعلمين والمتعلمين . وكل هذا محافظة على الانتفاع بالكتب الاجنبية التي جرى مؤلفوها على لغة دولية اصطلاحية في استعمال أسماء الاعلام .

ثالثاً — Objective , Subjective : موضوعي وذاتي .

يقول الاستاذ بأنه عاجز عن فهم الاسباب التي دعت بعض الكتاب الى استعمال كلمة « موضوعي » ، وانها تستعمل دوماً لمعانٍ لا تلتئم والمعنى المقصود من كلمة Object بوجه من الوجوه ، وانها تستعمل في المنطق منذ القديم للدلالة على أحد جزئي القضايا وهو المحكوم عليه والكلمة التي تقابلها في اللغات الاوروبية فهي Subject وليست Object .

ومضى الاستاذ في كل كلامه حول هذين الاصطلاحين معتقداً أولاً : أن ترجمة ذاتي وموضوعي غير صحيحة . وأن الكتاب يضعون كلمة Subject محل Object سهواً أو خطأ . وما خطؤه هو في الحقيقة الآت من طريق اعتقاده هذا .

لم يلتفت الاستاذ مطالعاً الى أن الكلمة الواحدة في اللغات الاوروبية على الاخص قد أصبحت تستعمل لتدل على عدة معان مختلفة تمام الاختلاف . والامثال على ذلك كثيرة لا تحصى ، ولا حاجة بنا الى ضرب الامثال . واصطلاحاً Subject و Object لم يعدوا هذه القاعدة . فاهما في المنطق معان وفي الكلام الدارج أخرى وفي الفلسفة مدلولات تختلف عن هذه اختلافا تاما . وهما في الفلسفة وفي علم النفس يجريان على معنى واحد . فاذا قلنا Subjective — أدركنا بذلك

الذاتية التي تبحث « موضوعاً » ما Object أو تختلف عنه . ومن هذا القبيل دروس الاشياء التي تدرس لاطفال المدارس وهي تسمى عندهم Object lessons فالاشياء هي الموضوعات وطريقة النظر فيها فلسفياً أو علمياً هي وجهة النظر « الموضوعي » أي وجهة النظر التي تبحث الموضوعات المادية بما هي عليه، لا بما تدرك الذات التي تبحثها نظرياً أو تبحثها من ناحية علاقتها بها . وهذه هي وجهة النظر الذاتية . والاولى تدعى Objectivism والثانية Subjectivism . واليك الادلة التي لا تنقض . جاء في كتاب تاريخ الفلسفة ومصطلحاتها تأليف لوويس Lewes ما يأتي :

Objective method : " Philosophy "—A method of inquiry which moulds its conceptions on realities by closely following the movements of the objects. as they severally expose themselves to sense, so that the movements of thought may synchronize with movements of things.

فيلاحظ هنا مقابلة الموضوعات بالحواس ، والفكرات بالاشياء . والحواس والفكرات تمثلها الذات المدركة Subject والموضوعات والاشياء تمثلها الكائنات الخارجية Object

وجاء في كتاب « هاملتون » في الميتافيزيقا جزء أول ص ١٦٠ و ١٦١ طبع هانزل ما ياتي :

The terms Subjective and objective denote the primary distinction in Consciousness of self and not self; and this distinction involves the whole science of mind, for this science is nothing more than the determination . of the subjective and objective in themselves and in their mutual relations.

فهل يكفي الاستاذ للاقتناع بصحة ماذهب اليه ، وهو تقيض مايعتقد به تماماً ، قول هاملتون المعروف بأن الاصطلاحين وضعاً ليدل على التفريق بين النفس أو الذات واللا نفس أو اللا ذات ؟ وأن هذا التفريق يتضمن كل المعلوم العقلية لأنها تقوم على قاعدة تحديد الذاتي والموضوعي في ذاتهما وفي علاقتها المتبادلة ؟

وجاء في هذا الكتاب نفسه ص ١٥٩ و ١٦٠ ما يأتي :

Objective means that which belongs to, or proceeds from the objects known, not from the subject knowing, and thus denote what is real, in opposition to what is ideal—what exists in nature in contrast to what exists merely in thought of the individual.

هل يكفي الاستاذ أن يكون الموضوعي هو « الأشياء المعروفة » لا « الذات العارفة » وان اصطلاح Objective يدل على الشيء « الحقيقي » لا على ما هو ذهني خيالي ، وأنه يدل على ما يوجد في الطبيعة مضاداً بذلك ما يوجد في فكر الانسان ؟ هل يكفي هذا دليلاً على صحة مذهبنا اليه ؟ نظن أن هذا كاف لتأييد مذهب اليه .

ثم ارجع الى كلمة Subject — فقد جاء في القاموس الانسيكلوبيدي ص ٦٥٢ مجلد ٦ ما يأتي :

Subject : (Philosophy) the ego as distinguished from the object or non-ego; the mind considered as that in which knowledge inheres.

أيكفيه أن تكون كلمة Subject تدل على « الذات » تفرقاً لها عن « الموضوع » أو اللاذات ، وانها تدل على العقل الذي يستوعب المعرفة ، لا على « الموضوع » الذي يعرفه العقل ؟

وجاء في كتاب لوريس تاريخ الفلسفة طبعة (١٨٨٠) :

Subjective method (Philosophy): The method of investigation which moulds realities on its conception, endeavouring to discern the order of things, not step-by-step adjustments of the order of ideal to it, but by anticipatory rush of thought and not controlled by objects.

أظن أن هذا كاف لأن نقنع الاستاذ بصحة الترجمة التي جرينا عليها في مصر وهي نتيجة درس طويل عميق قائم على ما فهم فلاسفة أوروبا من مدلولاتها التي تواضعوا عليها .

ولا نظن بعد هذه التعاريف التي أتينا عليها والشروح التي ذكرها كبار الكتاب وأصحاب المعاجم المضطرين إلى الجري على اصطلاح ذاتي وموضوعي وذاتية وموضوعية نزولاً على حكم المعنى الأصلي الذي وضعت من أجله هذه الالفاظ

رابعاً — Causality أم السببية ؟

هناك فرق كبير بين الفلية والسببية جرى عليه المحدثون في الاستعمال الفلسفى . ولم يستعمل القدماء لفظ السببية بالمعنى الذى أدركه المحدثون . والسبب فى هذا التفريق أنهم صرفوا الفلية على العلل الغائية والنهائية التى تنتهى إليها كل « الاسباب » ونحوها Final cause أو Final causes . وهى العلل التى ترجع إليها جماع الاسباب التى تكون ظاهرات الطبيعة . فكلمة Causality تدل على السببيات التى هى ليست بشئ سوى أوجه الترابط الواقع بين سوابق طبيعية ولواحق متكررة متواترة فى كل نواحى النظام الطبيعى ممتدة فى الزمان والمكان لترجع الى علة غائية ، وجماع هذه العلل الغائية تعود الى علة نهائية تدخل فى باب الغيبات الصرفة . فالجاذبية مثلاً علة غائية لانه يرجع إليها عدد من السببيات التى تعبر لنا عن كثير من الظاهرات الطبيعية . أما الجاذبية ذاتها فتعود الى علة نهائية خارجة عن الابحاث الطبيعية فكلمة causality اذن هى السببيات الجزئية أو التسبب لا العمل . جاء فى القاموس الانسيكلوبيدى ص ١٠٧ مجلد ٢

Causality — The agency of a cause; the quality or property of causing

وهذه المعانى الدقيقة يجب أن نلاحظها جيداً اذا أردنا أن نتمرن على درس العلوم والفلسفة درساً قيمياً على الحقائق الاولى فيهما .

خامساً — Determinism أم القصدية ؟

قال الاستاذ رداً على إذ أردت أن أترجم هذه الكلمة « بقصدية » أن الدتيرمنزم هو عكس « القصدى » تماماً . لان « القصد » يظهر من مظاهر الاختيار فى حين أن الدتيرمنزم هو انكار تأثير الاختيار فى الحادثات . والحقيقة أننا لم نرم بالقصدية الى الاختيار الحر مطلقاً . بل رمينا الى القول بأن الارادة غير حرة وأنها تحول الى غايات قسراً عنها بفعل قوة قدسية تحول القوى العقلية الى نهايات وأفعال توافق « مقاصدها » وتنقضى على « مقاصدنا » . وهذا هو المعنى المدرك مما عرفت به هذه الكلمة كل التواميس وكتب الفلسفة .

أما إذا لم يوافقنا الاستاذ على هذا الاصطلاح فانه يستوى على الأقل واصطلاح « المعينية » الذى يريد أن يضعه ترجمة لهذه الكلمة بل إن « القصدية » أقرب للمعنى الاصلى من اصطلاحه .

سادساً — Evolutionary — أنطورى أم نشوئى ؟

استعملت كلمة تطور في ترجمة أصل الانواع واستعملت أيضاً كلمة نشوء ترجمة الاصطلاح Evolution- . غير أنى لم استعمل أحدهما ترجمة لكلمة Development مطلقاً لان هذه تدل على « النماء » لا على النشوء أو التطور وهو اصطلاح قديم عدل عنه النشوئيون في العهد الاخير بعد ظهور داروين أما السبب فى أنى أفضل كلمة نشوء الآن على تطور وان كنت لا أرى مانعاً من استعمالها لتحل احدهما محل الاخرى ، هو ان كلمة تطور لم تسمع من العرب ولا استعملوها ، بل استعملوا كلمة نشوء . هذا فضلاً عما فى كلمة نشوء من المعنى الدقيق الذى يدل على تولد بعض الاحياء من بعض ونشوتها فى سلسلة طويلة . ناهيك بأننا ننحت منها كلمة نشوئى Evolutionist للمفرد ونشوئيون للجمع . أما كلمة تطور فليس فيها من المطاوعة ما نجد فى كلمة نشوء .

سابعاً — Behaviour — أهى سلوك أم انبهاج ؟

اعترف الاستاذ بأن ترجمة هذه الكلمة « بانبهاج » كما جرى هو عاينها لا تؤدى المعنى تماماً . ولذا وجب عايننا أن نرجع الى تعريف الكلمة فى لغتها الاصلية . جاء فى القاموس الانسكلوبيدى ص ٤٨١ مجلد أول ما يلى

Behaviour: Outward deportment; such conduct as is visible to the eye.

1— Such outward deportment as is fitted favourably to impress.

2— Gesture, posture, attitude, specially of a graceful kind.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذه الكلمة تدل على « السلوك » الظاهر الذى يأتى به حى متحرك من الاحياء . وجاء فى القاموس الانسكلوبيدى ص ٤٨١ مجلد ١ ما يلى :

Conduct: Including what is within the heart and unseen, not less than what is visible.

وهذا يدل على «الصفات» لاعلى الاخلاق القلبية التي يتصف بها الانسان أو الحيوان . وعلى هذا نصلح على ترجمة سلوك وأخلاق وعلم الاخلاق ، فنستعمل للاول كلمة behaviour والثانية conduct والثالثة Ethics- جريا على المعانى الاصلية التي وضعت هذه الكلمات لتدل عليها من لغاتها الاصلية .
 ثامناً — Normal, Abnormal — أسوى وغير سوى ، أم قياسي ولا قياسي
 جاء في القاموس الانسيكلوبيدى ص ٢١٥ مجلد ٥ ما يأتى

Normal: As adjective (صفة) according to a rule, principle or standard conforming to certain standard, type or established law; regular, not abnormal.

Technically:—

Bot:— Not in any way departing from the ordinary structure peculiar to the family or genus etc. of a plant.

من هنا نرى أن كلمة Normal تدل على «القياس» ، فلسفيا وعلميا .
 وجاء في القاموس نفسه ص ١٣ مجلد ١ ما يأتى .

Abnormal—Not according to rule, irregular; anomalous, departing from the ordinary type.

ويقول مستر ترنش في كتابه «اللغة الانجليزية قديما وحديثا» ، أنها استعملت حديثا جداً في اللغة الانجليزية . ومن هذه التحايد نرى أن الكلمتين تدلان على «قياس» ، الافراد والاشياء على معيار ما فتكون قياسي ولا قياسي . أما «السوى» ، فيدل على الكمال كما يقال «فتمثل لها بشراً سوياً» ، أى كاملاً وهذا يدل على الاصل الذى يقاس عليه لاعلى الشئ المقيس على أصل يتخذ قاعدة للقياس .

هذا ما رأينا في نقد الاستاذ لعلنا نكون قد أحيينا بعض الحقيقة ، آمين
 أن يكب المشتغلون بالعلوم على مثل هذه الابحاث «والمصور» ، تفسح صدرها لكل نقد خدمة للعلم والعربية ونحن على يقين من أن النقد محك الحقيقة .

اتباعيل مظهر